ولذلك فقد استبعدها سارتر من دائرة الالتزام. ومن هنا يصحّ القول إنّ الالتزام لدى سارتر يوجد حيث توجد وجهة النّظر وجوداً دلاليّاً صريحاً، يسمح بإمكان المطابقة بين «تعدّد الذوات» في داخل العمل الفنّي، والأدبي منه تحديداً.

إنّ مشكلة تعدّد الذّوات الأدبيّة مشكلة أساسيّة تشكّل جوهر الأدب. ولقد وضعنا نصب أعيننا أنّ الرّسالة الأدبيّة ـ ونستعمل هنا كلمة «رسالة» لا بمعناها النبوئي، بل بمعناها الكتابي ـ هي الرّسالة الّتي تتّسم بالازدواجيّة دائماً: ازدواجيّة لدى المرسل، وازدواجيّة لدى المتلقّي، وازدواجيّة في الرّسالة والسّياق والقناة والشّفرة. إنّ الأدبيّة ـ وهي الخاصيّة الّتي تجعل من نصّ ما نصّاً أدبيّاً ـ ليست سوى ازدواجيّة الرّسالة، أي إمكان انطوائها على مستويين من المعاني: في تعدّد سياقات موجودة أو محتملة. ولقد ركّز دعاة الالتزام على المرسل، واعتبروه نقطة بدايتهم. وهكذا أُخضع المرسل للتماهي مع المؤلّف الواقعي أو الفعلي، وأُخضعت أفكار الشخصيّة للتماهي مع أفكار المؤلّف. مؤلّف العمل الأدبي لدى دعاة نظريّة الالتزام هو بالضرورة مرسله، وأفكار الشخصيّة هي بعينها أفكار المؤلّف. إنّ الانطلاق من تصوّر فلسفي أو أخلاقي لابدَّ أن ينتهي في آخر المطاف إلى اعتبار المؤلّف «مسؤولاً» عن شخصيّاته. أمّا أن تستقلّ الشخصيّة عن المؤلّف في الأعمال السرديّة، وأنا ـ الشّعر عن أنا ـ الشاعر في الأعمال الشعريّة، أو بعبارة أدقّ الذوات الأدبيّة والركائز الفنيّة، فذلك ما لم تتصوّره نظريّة الالتزام. فقد كشفت الدراسات النقديّة الحديثة «تعدّد الذوات» هذا، وميّزت بين المؤلّف والشخصيّة في البداية، ثمّ بين المؤلّف الفعلي والمؤلّف الضمني، مثلما ميّزت بين القارئ الفعلي والقارئ الضمني. وإذا ما طرحنا سؤال الالتزام في هذا السياق فهل سيكون الالتزام من نصيب المؤلّف أم الشخصيّة في السّرد، أو من نصيب أنا الشّعر أم أنا الشّاعر؟ يبدو أنّ عدم معرفة سارتر، أو عدم اهتمامه بمعرفة ازدواجيّة المرسل في الأدب، في تلك المرحلة، هو الّذي جعله يستبعد الشّعر والفنون البصريّة من إطار الالتزام، لأنّ علاقتها بوجهة النظر ليست دلاليّة، واحتمال المطالبة فيها أكثر.

العراق

الآداب لم تكن مجرد مجلة عربية

د.رادو بوجوفشش

ليس من السّهل أن تعيش مجلّة أدبيّة، دون انقطاع ٤٢ عاماً مليئة بالعطاء، زاخرة بالتقدّم، لتكون واحةً خضراء في صحراء... هذه هي مجلّتنا **الآداب** التي صمدتْ وكانت ومازالت تقاوم دفاعاً عن الفنّ الحقيقي والإنسان الثّائر على التنازل والتراجع. لم تكن تلك الأعوام سنين عاديّة في تقويم التّاريخ الحديث، بل كانت عاصفة مليئة بالتغيّرات الّتي حملت في طيّاتها الانتصارات والنكسات، الأفراح والخيبات، التقدّم في حين والتّراجع في آخر.

ولذا لن أكون مبالغاً إن قلت إنّ مجلّة **الآداب** من المجلّات القليلة العالميّة، لا العربيّة فحسب، الّتي حملتْ بأمان وإخلاص شرف الأدب وطموحاته في التعبير الحقيقي عن واقع الجماهير وطموحاتها وانعكاسات ذلك الأدب وتفاعله وتأثّره وتأثيره بالآداب العالميّة.

لقد كانت **الآداب** وماتزال مجلّة تسير نحو الآفاق الجديدة بمواكباتها الأدبيّة ومساهماتها الفكريّة، تخدم هذه الرّسالة الشريفة في زمن يصعُب فيه التوفيق بين الأطراف التقدّميّة. إلاّ أنّها نجحت وبقيت محافظة على حيادها الإيجابي المتوازن وخاصّة في مرحلة الصّدام المؤسف بين الفكر القومي التحرّري والفكر الماركسي والشّيوعي في المنطقة العربيّة ـ وهو الصّدام الّذي مايزال أعداء التطوّر والحرّيّة للجماهير العربيّة داخل البلدان العربيّة وخارجها يستفيدون منه.

ويقول صاحب هذه المجلّة د. سهيل إدريس ومحرّكها الرّوحاني بأنّ صمود هذه المجلّة يُعتبر من المعجزات... وقد كان من أيسر الأمور أن تتجاوز **الآداب** «أزمتها بأن ترهن نفسها لهذا النّظام أو ذاك». ولكنّها ـ والحمد لله ـ وتكريماً لقرّائها المخلصين ولسدّ حاجات العصر الصّعب الّذي نمرّ به، مازالت منارةً لكلّ ملاّح تائه وكلّ مبدع متردّد. إنّها حقّاً تشبه إلى حدّ ما المنارة الّتي بناها سليمان النّاجي في رواية **الحرافيش**، تلك المنارة الّتي افتخرت بها مدينة الاسكندريّة في غابر الزّمان.. وكلّ ذلك لأنّ **الآداب** بقيت محافظة على الوحدة المعدومة، وللأسف، بين المثقّفين العرب، فكنتَ تجد على صفحاتها إبداعاتهم وسجالاتهم الأدبيّة والنقديّة والفكريّة،

وبذلك كانت دائمة السّعي العملي للتقريب بينهم.

وهي الآن في نفس الثوب التقدّمي، لا تخفي الترامها بالأدب والفكر الحقيقي الّذي يجسّد اليسار في زمن ظنّ فيه (وفرح) الكثيرون أنّ الزلزال قد ابتلع الفكر الإنساني بعد أن أصبح غولُ السيطرة واحتكار وشراء الأنفس والأقلام مهيمناً على العالم. وأكثر من ذلك، أشعر الآن أنّها ومن خلال صفحاتها توجّه الدّعوة المفتوحة، وبشكل غير مباشر، لإعادة الحوار في الأدب والفكر لليسار العربي لكي يستيقظ ويأخذ على عاتقه مهمّة النّهوض وخاصّة لأنّها ضربت مثلاً لنا عندما لم ترهن نفسها لهذا النّظام أو ذلك.. بل تكريماً لقرّائها ولحاجات الزّمن الصّعب الّذي نمرّ به مازالت طليعة الفكر الخالد المتحرّك ومازالت تحرّك المثقّف الّذي يقدّر دورَه في العالم المتردّد ليتعرّف على ذلك الخطر المسمّى بـ«النّظام الجديد» الّذي يطمح من خلاله العمّ سام، وليّ أمر هذا العالم القاصر، أن يكونَ الوصيَّ المطلق عليه إلى أن يبلغ سنّ الرّشد...

وإنّي لأرى مجلّة **الآداب** تواصل دور مجلّة **الأديب** حينما أصيبت هذه الأخرى في سنواتها الأخيرة بشيء من الترهّل والتخلّف عن متابعة التجديد (ولنذكر أنّ انقطاع د. إدريس عنها قد أدّى ـ في رأيي ـ إلى تأسيس مجلّة **الآداب**). ولاريب ـ بعد أن نراجع هذه الفترة الّتي مضت من تأسيسها ـ في أنّ دور **الآداب** في مسيرة الأدب العربي الحديث والمعاصر دور مشهور وملحوظ وأنّ كثيراً من الأقلام المبدعة قد ترعرت على صفحاتها وولدت ـ كما تقول ليلى العثمان ـ على يديها أسماء كثيرة.

وبهذه الخلفيّة الأدبيّة الفكريّة المتحضّرة أعطت **الآداب** فرصة لكلّ أديب وشاعر لكي يقدّم للجماهير العربيّة عطاءاته القيّمة. ولذا قد يكون من الصّعب أن نذكر في هذا المكان جميع الأقلام الّتي ساهمت في أداء دورها الملتزم القومي على صفحات مجلّتنا جميعاً. ولابدّ من الذكر أنّ المجلّة لم تكن مجرّد وعاءٍ مسجّل، بل فسحت صدرها لكلّ حركة أدبيّة وفكريّة جديدة تودّ أن تماشي هذه النّهضة ولاسيّما حركة الشّعر الّتي كانت مجلّة **الآداب** من أُولى المجلاّت الّتي احتضنتها وغذّتها. وكذلك يجدر الذّكر أنّ هذا الوعي الجديد الّذي تصدر عنه **الآداب** إنّما هو مستمرّ في وعي القرّاء العرب في مختلف أركان الدّنيا العربيّة، يحرّك جيلاً جديداً. واستطاع الجميع أن يتعلّم من على صفحات هذه المجلّة الثمينة كيف يجب أن يجري الحوار المتحضّر، ولو مال هذا الحوار في بعض الأحيان إلى الجدال، وكيف يجب أن نحترم بعضنا البعض. وحينما أذكر ذلك يخطر ببالي ذلك الحوار الّذي حرّكته في صفحات **الآداب** رسالةُ الدكتوراه.. للشّاعر أدونيس.

«الآداب» اليوم في نفس الثوب التقدّمي، رغم أنّ غول السيطرة وشراء الأنفس والأقلام يهيمن على العالم.

كما علّمتنا هذه المجلّة أن نكون شجعاناً لأنّ صاحبها وزملاءه الّذين ينشرون فيها منجزاتهم الأدبيّة والفكريّة لم يستسلموا أمام المشاكل الكثيرة... ولأنّ د. سهيل إدريس قد تعلّم من سلفه ومدرّسه الكبير خليل مطران الّذي عثر في تسيير مجلّته القيّمة (**المجلّة**) خطوةً واحدة فقط كانت كافية لتقطع صدورها. إنّ الشّاعر مطران لم ينتحرْ آنذاك (كان يفكّر في ذلك للأسباب الماليّة) ولكنّه بإيقاف هذه المجلّة ربّما دفع سير الأدب العربي ليتحرّك إلى الأمام بأوسع خطوات... علينا جميعاً أن لا نسمح بإمكانيّة حدوث ذلك لمجلّتنا **الآداب**، مع أنّ قدرتنا جميعاً ليست قليلة، بل بالعكس.. وأنا متأكّد من أنّ مجلّة **الآداب** سوف تستمر بدورها الكبير ورسالتها المهمّة في الفكر والأدب، بالرّغم من كلّ الصعوبات الّتي يرميها هذا العصر أمام مسيرتها وبالطّبع أمامنا جميعاً. فكلّ الشّكر لمجلّة **الآداب** والقائمين عليها، وثلاث وأربعون باقة ورد مختلفة الألوان من حدائق الآداب العربيّة والعالميّة نحفرها خالدة على صخرة صمود أعوامها العاصفة... كلّ المحبّة للأدباء والشّعراء العرب العاشقين الأبديين للجماهير العاديّة في الشّوارع والأحياء الشعبيّة الّذين أتحفونا بإبداعاتهم وكان جزء منها على صفحاتها.. وإنّي لعلى ثقة من أنّ حصاد عطائهم قادم لاريب فيه.

أشكركم على توجيه الدّعوة لحضور هذه الفعاليّة الرّائعة، ولاسيّما أنّها جاءت في زمن ظالم شاء فيه بعض «آباء» وأعمام هذا العالم إعادةَ تربيته وتهذيبه، فدمّروا بلادي الجميلة خوفاً من أن تبقى عاصيةً على طاعتهم، وأشعلوا الحرب الأهليّة الدّامية بين أبنائها ونحروا شعوبها بسموم التعصّب والكراهية الّتي رعوها وغذّوها لتبقى سلاحاً رهيباً بأيديهم يحصدون به الأرواح ويدمّرون الممتلكات وفقاً لمصالحهم الأنانيّة الجاحدة. وما لم يستطيعوا تحقيقه بجنون الحرب يسعون لتحقيقه بلا إنسانيّة بظلم الحصار والعقوبات المفروضة حتّى على الكلمة ناهيك عن الغذاء والدّواء...

مرّة أخرى أشكركم وأتمنّى أن تنتصر الكلمات لأنّها ـ وكما قال لي مرّة صديقي عبد الوهاب البيّاتي ـ «لا تموت»، تلك الكلمات الّتي يخطّها الأديب الإنسان، والقصائد الّتي ينسجها الشّاعر المرهف على نيران الأسلحة وقرارات الظّلم والقهر والحصار.. ونرسم بها معاً من كافّة البلدان وفي كلّ المدن والأحياء عالمنا الجديد: عالم الحرّيّة والعدل والمساواة، وننجز بهذا ما حاوله «حرافيش» نجيب محفوظ.

يوغوسلافيا